الضر ثم إذا لكم الضر فإليه تجأرون أي تضرعون ثم إذا كشف بذلك الضر عنكم الضر عنكم إذا
فريق أي جماعة منكم بربهم يشركون إذ يزعمون أن ارتفع بسبب الغير ولا فائدة في هذا الشرك
سوى كفران النعمة ليكفروا بما آتيناهم فلا يلزمهم شكر بالموجب للعبادة لتفرغوا للاستعمال
بالتمتع فتمتعوا بها كافرين بالمنعم فسوف تعلمون ما فوتهم من النعم الغير المتناهية المرتبة على الشرك
وحصلتم من الشدائد الغير المتناهية المرتبة على الكفران مع أن أدنى شدة منها لا تفي بنعم الدنيا
أجمع ومع كونهم لا يستفيدون منهم نفعهم ولا يدفعون ضرا بعدوهم وسيضرون بإحضارهم
إليهم إذ يجعلون لما لا يعلمون حصول الفائدة منهم نصيبا مما رزقناهم ليستفيدوا منهم تلك
الفائدة بناء على أنا وعدناهم تلك الفائدة في ذلك فإن لم نسالهم عن تصحيح تلك النعمة بلا فائدة
تالله لتسألن عما كنتم تفترون علينا في وعدنا الفائدة على ذلك كما يجعلون للأصنام ما يجبونه
من الأموال يجعلون لله ما يكرهون من الأولاد البنات وغيره سبحانه عن التولد فضلا عن الكثرة
مع ذلك يفضلون أنفسهم على الله أولا ولهم ما يشتهون من الذكور ليس هذا التفضل بما يلزمهم من
غير شعور منهم بل مع ظهوره لهم فإنه إذا بشر أحدهم أي أحد الذين يجعلون لله البنات
بالأنثى ولدت له أولا أو أولاده ظل أي صار وجهه من الكآبة والحياء مسودا أي كأنه أسود
ومن شدة كراهته لها هو كظيم أي مملوء غيظا على امرأته لأنه حصل له بها ما يوجب أشد الحياء حتى أنه
يتوارى أي يستتر من القوم من سوء أي حياء ما بشر به يحدث نفسه أيمسكه أي أيترك
المبشر به مع أنه أمره على هون أي ذل وغلظة أم يدسه أي يخفيه بجعله في التراب حيا أو
مقتولا ألا ساء ما يحكمون بأن في البنات ذلا وفي الذكور عزا والحكم بالدس في التراب
أو جعلي خير الأموال للأصنام وشر الأولاد لله وخيرها لأنفسهم ثم قال للذين لا يؤمنون بالآخرة
فيجترئون على الله بإثبات السوء له مثل السوء أي صفات الذل ولله المثل الأعلى أي صفات
الكمال كيف وهو العزيز أي المتفرد بكمال العزة المانعة لذل الموت التي يطلب له الولد وكمال
القوة المانعة لذل الضعف الذي يمنع بالذكور الحكيم في تخصيص الخلق بالنقائص البالغة عما
الاشتراك مع الله في كمالاته وعزته وإن اقتضت التعذيب على الفور لحكمة تمنع من ذلك
لا فضائه إلى تخريب العالم فإنه لو يؤاخذ على الفور الله الجامع للرحمة والقهر الناس بظلمهم
نسيان حكمة نظلمهم بمخالفة حكمته ما ترك عليها أي على الأرض من دابة إنسان أو غيره إلا الإنسان
فإنه لا يخلو أحد منهم من ظلم وإما غيره فإنه خلق من أجله ولحكمة ولمن منعت المؤاخذة على الفور
فلا تبطلها بالكلية لاقتضائه إلى إبطال مقتضى العزة بالكلية لكن يؤخرهم إلى أجل غير معين للتنبيه
الإبطال الكلي بل إلى أجل مسمى يستغفر منهم من يستغفر فيغفر له ويصر من يصر فيزاد فيذاب فإذا جاء

أجلهم أي غاية مدتهم لا يستأخرون ساعة أي لا يمكنهم طلب التأخير عنها ساعة أخرى لاستعمار
منه لذهاب وقته المعين له ولا يستقدمون لاستعمار العقاب ولكن قبل مجيئه لا ينظرون
إلى عزته إذ يجعلون لله مع كمال عزته ما يكرهون لأنفسهم لما فيه من ذلتها والإلى مقتضى عزته
في حقهم إذ يصف ألسنتهم الوصف الكذب لا علم لهم بأنها حسنة فيزعمون أن لهم الحسنى على حالة
مقتضى عزته لكن مقتضيا ما تعذيب من يستبد لها بغاية الذلة لا جرم أي حقا أن لهم النار
بمقتضى عزته وأنهم مفرطون أي مقدمون في التعذيب على غيرهم إذا رأوا واقدمهم على
الله بالتفضيل عليه إذ جعلوا له ما يكرهون لأنفسهم وإنما قالوا إن لهم الحسنى مع أنهم فضلوا
على الله من تزيين الشيطان لهم ولا يبعد مع بيانك لتزويرها فإنه تالله لقد أرسلنا
إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم المقربة من النار المبعدة عن الله فارتابوا بالعكس وإن
وإن كان بيانك أتم فلا يزيل موالاته بالكلية لعدم كونه ملجأ فهو وليهم اليوم يرجون قوله
على قولك لموافقته أهواءهم وهي وإن كانت لذيذة لهم منها عذاب أليم يوم ظاهرهم
وباطنهم كيف لا ولهم ولم يترك بيانك من البيان شيئا إلا ما أنزلنا من مقام علينا الكتاب
عليك بالكمال لرسل الكتاب الذي هو أكمل الكتب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه لوقوع الاختلاف
فيه كيف لا يرفع الالتباس وهو هدى بإفادة الحجج ورفع الشبه ورحمة بإفادة الكشف
التام لمكنة أنا مكون مفيدة لقوم يؤمنون بالله فيتأملون في كلامه فيجدون فيه هذه
المطالب الشريفة الدالة على أنه من عنده لعجزه عن سواه عنه ولا يبعد من الله مع غاية
عظمته إنزال الكتاب لإحياء الناس عن موت الجهل إذ الله أنزل من السماء ماء فأحيا
به الأرض بعد موتها إن في ذلك أي إنزال المطر لإحياء الأرض لآية على إنزال الكتاب
لإحياء الناس لقوم يسمعون الدلائل من كتابه المعجز لاشتماله على ما لا يتناهى من الفوائد
المفيدة للهدى والرحمة ولا يبعد أن يكون في هذا الكتاب بهذه الفوائد مع ما يرى فيه ظاهر
من الاقتصار على الطول لكثرة التكرار وتبدد الألفاظ إن لكم في الأنعام لعبرة لأن الغذاء
الواصل إلى الكرش إذا انهضم انجذب الصافي إلى الكبد والكثيف إلى الأمعاء فما بقي
الكبد تصيره دما ثم ينقسم إلى الصفراء فيذهب إلى المرارة والسوداء فيذهب إلى الطحال
والمائية فيذهب إلى الكلية ثم إلى المثانة ويبقى بعضه دما يدخل في الأوردة ويتصب
بعضه إلى الضرع فيصير لبنا لذلك نسقيكم مما في بطونه من الغذاء وذكر الضمير بناء على أن
الأنعام مفرد مغتصب بمعنى الجمع كقولهم ثوب أكياس وإذا أنث فهو تكسير نعوم أو أنه

Copyright Boston University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)